مجلة العلوم الحديثة والتراثية ، 2016 ، 4 (3) : 674 – 695 .
http://www.jmsh.eu

الايمان أساس المبادئ في سورة الأنعام في القرآن الكريم

طارق محمد سميان
كلية العلوم الإسلامية / جامعة بغداد / العراق

الخلاصة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه الطبين الطاهرين، وأشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وبعد...

عند تدبرنا للقرآن الكريم نجد في مواضع كثيرة التأكيد على الأيمان بالله لأن ذلك الأساس في قبول العبد وقبول عمله عند ربه ولما كان هناك الضلالة من الوهم أو الخطأ أو الشيطان المؤدي إلى الخلط والشرك كما قال تعالى: (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) (يوسف/ 106) وهو بالتالي ينفي قبول العبد أو عمله عند الله كما قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا) (النساء/ 48). وهنا في الآيات (151-152-153) من سورة الأنعام نجد هناك عشر وصايا في جانب البر والعمل الصالح والقيم الاجتماعية والروحية تتقدمها الآيات التي تأمر بالتوحيد تتقدم تلك الوصايا ثم ختم تلك الآيات بقوله تعالى: (ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون).

Faith the basic principles in Al-Anaa'm Surah of Holy Quran

Tariq M. Samyan
College of Islamic Science, University of Baghdad, Iraq.

Abstract

We praise to God, we hope from God to carry out, with information surveying for data gathering analysis and discussions, the ten favorite of Al-Anaa'm with three Ayat in the Holy Quran; section 19 151 say: "come, I will rehearse what God hath (really)". Prohibited you from": join not Anything as equal ! with him, be good to your parents, kill not your children. On a plea of want, we provide sustenance for you and for them, come not nigh to shameful deeds. Whether open or secret, take not life, which God hath made sacred, except by way of justice and law. Thus doth he command you, that ye may learn wisdom. 152 and come not nigh to the orphan's property, Except to improve it, until he attain the age of full strength, give measure and weight with (full) justice. No burden do we place on any soul, but that which it can bear, whenever you speak, speak justly, even if a near relative is concerned and fulfil the covenant of God. Thus doth he command you, that you may remember. 153 Verily, this is my way, leading straight : follow it: follow hot (other) paths ; they will scatter you about from his (great) path. Thus doth he command you, that you may be righteous. The study depends on the only the God justice, prophetic, and great paths. Also the Ayat to neglect the nonbeliever to protect the Aqida. Al-Tabarani, Ibn Abbas: Al-Anaam surah in Mecca, the first Dawaa', which be taken by prophet Muhammad (peace upon Him). These three Ayat (151 – 152 – 153) from Al-Anaa'm surah. These Ayats which are most significant result of study, goodness for one person and the whole society.

المقدمة

لقد بين بعض العلماء أهميَّة سورة الأنعام فيما دعت إليه من جملة الوصايا وتقديمها لمبدأ الإيمان والتوحيد في الآيات الثلاثة منها وهي (151-152-153) فقد روى الحاكم في مستدركه عن جابر (t) قال (نزلت سورة الأنعام سبَّح رسول الله (r) ثم قال (لقد شَيَّعَ هذه السورة من الملائكة ما سَدَّ الأفق) ثم قال صحيح على شرط مسلم(1). واخرج أيضاً عن ابن عمر (y) قالا: قال رسول الله (r): (أنزلت سورة الأنعام جملة واحدة وشيعها سبعون ألف من الملائكة لهم زجل بالتسبيح والتحميد)(2). قال الرازي: قال الأصوليون هذه السورة اختصت بنوعين من الفضلية:

أحداهما: أنها نزلت دفعة واحدة.

الثاني: شيعها سبعون ألف من الملائكة، والسبب فيه أنها مشتملة على دلائل التوحيد والعدل والنبوة والمعاد وإبطال مذاهب المبطلين والملحدين وذلك يدل على أن علم الأصول في غاية الجلالة والرفعة، وأيضاً ما نزل يدل على الأحكام، قد تكون المصلحة أن ينزله الله تعالى قدر حاجاتهم.

وبحسب الحوادث النوازل وأما ما يدل على علم الأصول فقد أنزله الله تعالى جملة واحدة، وذلك يدل على أن تعلم علم الأصول واجب على الفور لا على التراخي)(3).

الفصل الأول: في جانب العقائد

المبحث الأول: الوصية في اللغة والاصطلاح

الوصية لغةً: وردت معاني لهذه الكلمة في مجموعة من المصادر سأورد قسماً منها:

وصى: من أوصى الرجل فعمد إليه وفي القرآن الكريم تعني الفرض الحتمي الواجب(4).

كما في قوله تعالى: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ ۚ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ ۚ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ ۚ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ (آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا)(5).كذلك في قوله تعالى: چ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)(6). توصى القوم: أي أوصى بعضهم بعضاً(7).

حدثنا إسحاق بن نصر حدثنا حسين الجعفي عن زائدة عن ميسرة عن أبي حازم عن أبي هريرة عن النبي محمد (r) قال: (من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فلا يؤذي جاره وأستوصوا بالنساء خيراً فأنهن

---

(1) الحاكم: محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدويه بن نعيم أبو عبدالله الحاكم المتوفي سنة 405هـ، المستدرك على الصحيحين ج2/ رقم الحديث 3226/ 344.

(2) البيهقي: الإمام الحافظ العلامة شيخ خراسان أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخروجردي البيهقي المتوفي سنة 458هـ، المعجم الصغير.

(3) الرازي: الإمام محمد الرازي فخر الدين بن العلامة ضياء الدين عمر (ت سنة 604هـ)، تفسير الفخر للرازي، دار الكتب – بيروت.

(4) ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي التونسي بن منظور، المتوفي سنة 711هـ، سان العرب، فصل الواو حرف الواو والياء: 20/ 273-275.

(5) سورة النساء: الآية (11).

(6) سورة الأنعام: الآية (15).

(7) الرازي: الشيخ محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، مختار الصحاح، عني بترتيبه السيد محمد خاط، باب الواو فصل الألف المقصورة، دار التراث العربي، 725.

خلقن من ضلع وأن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيراً)(8).

وصى وصل الشيء بالشيء، قال ذو الرمة: نصي الليل بالأيام حتى صلاتُنا مقاسمةُ يشتق أنصافها السفرُ(9) وفي المجاز: (أوصيك بتقوى الله)(10).

وصى الشيء: اتصل، قال الليث الوصاة كالوصية كقول الشاعر:

إلا مـــــن مبلـــــغ عنـــــيّ يزيـــــداً وصـــــــاه مـــــن أخـــــي ثقَـــــةً ودود

وسميت وصية لاتصالها بأمر الميت وهي تساوي الوصي الذي لا يثني ولا يجمع وهو جريد النخل وأوصياء للمذكر والمؤنث وسنامُ واصي متصل(11).

الوصية في الإصطلاح: الوصايا قد تشابهتا في معانيها الأصطلاح مع معناها في اللغة إلا ما خرج عن ذلك وهو قليل وسوف نذكره، فالوصية عند الفقهاء وهي شبه آمرية كما يتضح من وصية الخليفة عمر بن الخطاب (**t**) لما بعده: (أوصيك بتقوى الله الذي لا شريك له وشدة الحذر منه ومخافة مقته أن يطلعَ منك على ريبة وأوصيك أن تخشى الله في الناس ولا تخشى الناس في الله وأوصيك في العدل في الرعية والتفرغ لحوائجهم وثغورهم ولا تؤثر غنيهم على فقيرهم فأن ذلك بأذن الله سلامة لقلبك وحطَّ لوزنك وأمرك أن تتشدد في أمر الله وفي حدوده وأجعل الناس عندك سواء، وكن واعظاً لنفسك... ولا تجعل المال دولة بين الأغنياء ولا تغلق بابك دونهم فيأكل قويهم ضعيفهم)(12).

وصية للأمام الغزالي قد تحدد معناها على نحو ما سبق وقلنا سلفاً أعلاه وهي: (على الرجل أن يكون محارباً للهوى الذي في نفسه، يؤمن بالله عز وجل وبالنبوة واليوم الآخر ويقطع علاقة القلب مع أهل الدنيا ويكسر النفس الأمارة بالسوء ويبتعد عن مشابهة البهيمة ويغرسُ الإنسان في نفسه بالعلوم فأنه كالبذرة في الأرض والجوهرة في قعر البحر وأن يتمتع بالحكمة والشجاعة والعفة والعدل)(13).

المبحث الثاني: تفسير قوله تعالى: (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ)

(يقول تعالى ذكره لنبيه محمد (**r**): قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام، الزاعمين أن الله حرم عليهم ما هم محرموه في حروثهم وأنعامهم، على ما ذكرت لك في تنزيلي عليك: تعالوا أيها القوم أقرأ عليكم ما حرم ربكم حقاً يقيناً، لا الباطل، تخرصاً، كتخرصكم على الله الكذب والفرية

---

(8) البخاري: أبو عبدالله محمد بن إسماعيل، المتوفي سنة 256، صحيح البخاري، ج5، رقم الحديث 4890، 1987.

(9) ذو الرمة: غيلان بن عقبة العدوي، ديوانه، صلاة القصر من أربع إلى اثنين، 218.

(10) الزمخشري، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة الطبعة الثانية، باب الواو فصل الألف المقصورة، دار الكتب، 512/2/1973.

(11) الزبيدي، محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس باب الألف المقصورة فصل الواو، مكتبة الحياة، بيروت، 393-392/10.

(12) الجاحظ، البيان والتبين، الكتاب الثاني، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الجاحظ، القاهرة، ط5، 45/2/1985.

(13) التكريتي، د. ناجي التكريتي، الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية عند مفكري الإسلام الفصل التاسع، الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية عند الفقهاء، ط1، دار الأندلس للطباعة، 1979، 271.

ظناً، ولكن وحياً من الله أوحاه إليَّ، وتنزيلاً أنزله عليَّ، إلا تشركوا بالله شيئاً من خلقه، ولا تعدلوا به الأوثان والأصنام ولا تعبدوا شيئاً سواه)(14).

وقد جاء في كتاب زاد السير في علم التفسير للأمام أبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي في تفسير قوله تعالى (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) أتل عليكم أن لا تشركوا، أي: اتل تحريم الشرك وبمعنى فرض عليكم، ووجب عليكم أن لا تشركوا، وفي هذا الشرك قولان: أحدهما: أنه أدعاء شريك مع الله عز وجل. وثانيهما: أنه طاعة غيره في معصيته(15).

أكبر الكبائر الشرك بالله تعالى: أن يجعل لله نداً، ويعبد معه غيره من حجر أو شجر أو شمس أو قمر أو نبي أو شيخ أو بحجم أو ملك أو غير ذلك، وهذا هو الشرك الأكبر الذي ذكره عز وجل قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا)(16). وقال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً)(17)

وقال تعالى: (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)(18). فمن اشرك بالله ثم مات شريكاً فهو من أصحاب النار قطعاً، كما أن من آمن بالله ومات مؤمناً فهو من أصحاب الجنة وقال رسول الله (r): [إلا أنبئكم بأكبر الكبائر – ثلاثاً] قالوا: بلى يا رسول الله قال [الاشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكأً فجلس فقال إلا وقول الزور إلا وقول الزور] فما زال يكررها حتى قلنا ياليته سكت(19) وقال (r): [اجتنبوا السبع الموبقات فذكر منها الشرك بالله وقال (r) فمن بدل دينه فاقتلوه](20).

الفصل الثاني: في جانب العمل

المبحث الأول: تفسير قوله تعالى (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)

يقول: (وأوصى بالوالدين أحسانا وحذف أوصى وأمر لدلالة الكلام عليه، ومعرفة السامع بمعناه وقد بينا ذلك بشواهد فيما مض)(21) (وأوصيكم إلا تشركوا، لأن قوله تعالى: (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) محمول على معنى: أوصيكم بالوالدين أحساناً)(22).

---

(14) الطبري، أبي جعفر بن جيري الطبري، المتوفي سنة 310هـ، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، دار الفكر، بيروت، 1408هـ - 1988م، 81/8.

(15) الجوزي، الأمام أبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي القريشي البغدادي، المتوفي سنة 597هـ، زاد المسير في علم التفسير، ج3/ط1، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، دمشق، 1385هـ - 147/1965.

(16) سورة النساء، الآية (48).

(17) سورة النساء، الآية (116).

(18) سورة لقمان، الآية (13).

(19) مسلم، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري المتوفي سنة 2611هـ، صحيح مسلم ج1/ رقم الحديث 87/ 91.

(20) البخاري، صحيح البخاري الجزء الثالث، رقم الحديث 2854/ 1098.

(21) الطبري: جامع البيان، 81/8.

(22) الجوزي، زاد المير في علم التفسير: 147/3.

(أوصيكم بالوالدين أحسانا وهذا بعيد لأن الاضمار على خلاف الاصل، لأن التقدير وأحسنوا (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) معطوفاً على أن لا تشركوا وأن لا تشركوا شامل لمن اشرك بالله الأصنام كقوم إبراهيم ومن اشرك بالله الجن ومن اشرك بنين وبنات)(23)

قال تعالى: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)(24) أي براً بهما وشفقة وعطفاً عليهما وقوله تعالى: (إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا)(25) أي لا تقل لهما بتبرم إذا كبرا واسنا، وينبغي أن تتولى خدمتهما ما تواليا من خدمتك على أن الفضل للمتقدم، كيف يقع التساوي وقد كانا يحملان آذاك راجين حياتك وأنت أن حملت اذاهما رجوت موتهما ثم قال تعالى: (وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً)(26).

وقوله تعالى: (وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) (27)

وقوله تعالى: (أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ) (28) فانظر رحمك الله كيف قرن شكرهما بشكره، قال ابن عباس (t) ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث لا تقبل منها واحدة بغير قرينتها.

أحداهما: قوله تعالى: (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ)(29) فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم تقبل منه.

ثانيهما: قوله تعالى: (وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ)(30) فمن صلى ولم يزكي لم يقبل منه.

ثالثهما: قول تعالى: (أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ)(31) فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه.

ولذا قال النبي (r): (رضى الله من رضى الوالدين وسخط الله من سخط الوالدين)(32).

لقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالإحسان إلى الوالدين برهما وحفظهما وصيانتهما وامتثال أمرهما وازالة الرق عنهما وترك السلطنة عليهما(33).

وفي الصحيحين عن بن مسعود (t) حدثنا أبو الوليد هشام بن عبدالملك قال حدثنا شعبة قال الوليد بن العيزار أخبرني سمعت أبا عمرو الشيباني يقول حدثنا صاحب هذه الدار وأشار إلى دار عبدالله قال سألت النبي (r) أي العمل أحب إلى الله قال (الصلاة على وقتها) قال ثم أي قال (بر الوالدين) قال ثم أي (الجهاد في سبيل الله) قال حدثني بهن ولو استزدته لزادني(34).

حدثنا عبيد الله بن معاذ النعبري حدثنا أبي شعبة عن الوليد بن العيزار أنه سمعا أبا عمرو الشيباني قال حدثني صاحب هذه الدار وأشار إلى دار عبدالله بن مسعود (t) قال سألت رسول الله (r) أي

---

(23) ابن حيان، تفسير البحر المحيط: 251/4.
(24) سورة الأسراء: الآية 23.
(25) سورة الأسراء: الآية 23.
(26) سورة الأسراء: الآية 23.
(27) سورة الاسراء: الآية 24.
(28) سورة لقمان: الآية 14.
(29) سورة النور: الآية 54، وسورة محمد الآية 23، وسورة التغابن الآية 12.
(30) سورة البقرة: الآية 43، 83، 110، وسورة النساء: الآية 77، وسورة الحج: الآية 78، وسورة النور: الآية 56، وسورة المجادلة: الآية 13، وسورة المزمل: الآية 20.
(31) سورة البقرة: الآية 43، 83، 110، وسورة النساء: الآية 77، وسورة الحج: الآية 78، وسورة النور: الآية 56، وسورة المجادلة: الآية 13، وسورة المزمل الآية 20.
(32) الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السليمي الترمذي المتوفي، سنة 279 سنن الترمذي ج4/ رقم الحديث 1899/ 310.
(33) القرطبي، الأمام أبو عبدالله بن أحمد الأنصاري الفرجني الجامع لأحكام القرآن، ط1، بيروت، 4/1988 /86.
(34) البخاري، صحيح البخاري، ج1/ رقم الحديث 504/ 197.

الأعمال أحب إلى الله قال (الصلاة على وقتها) قلت ثن أي (بر الوالدين) قلت ثم أي قال (الجهاد في سبيل الله) قال حدثني بهن ولو استزدته لزادني(35).

وكثيراً ما يصدم الإنسان في عاطفة إيمانية وعاطفة أبوه يدعوا إلى الكفر أو تدعوا إلى ترك الجهاد في سبيل الدعوة التي يؤمن بها ولربما أضعفت تلك الصدمة صبر المؤمن، وسولت له ترك إيمانه أو الأخلال بواجبه وفي حل هذا الأشكال تحفظ للأبوة حقها الذي لا يطغى على حق الله وهو الأحسان إليهما، وتحفظ لله حقه فلا تطاع الأبوة في الأشراك به(36).

المبحث الثاني: تفسير قوله تعالى: (وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ)

ولا تئدوا أولادكم تقتلوهم خشية الفقر على أنفسكم بنفقاتهم، فأن الله هو رازقكم وأياهم، ليس عليكم رزقهم، فتخافوا بحياتهم على أنفسكم العجز عن أرزاقهم وأقواتهم.

والأملاق: مصدر من قول القائل: أملقت في الزاد، فأنا أملق أملاقاً، وذلك إذا فنى زاده، وذهب ماله وأفلس(37).

تفسير قوله تعالى: (وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ) يريد دفن البنات أحياء، (وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ): أي من خوف من فقر(38).

(وقتل الولد حرام إلا بحقه وأنام ذكر هذا السبب لأنه كان العلة في قتل الولد عندهم وبين تعالى أنه هو الرازق لهم ولأولادهم)(39)

وقال تعالى: (وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ)(40) وقال النبي (r): (أجتنبوا الموبقات السبع) قيل وما هن يا رسول الله؟ قال: (الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل مال اليتيم وأكل الربا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي(41).

قد كانت الجاهلية تقتل ذلك في الذكور والإناث خشية الأملاق وتفعله بالإناث خاصة خشية العار(42).

أي من أجل الفقر، ومن خشية والمراد بالقتل: وأد البنات وهن أحياء، وكانت العرب تفعل ذلك في الجاهلية، فنهاهم الله عن ذلك وحرمه عليهم.

وفي تفسير قوله تعالى (نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ) (43) لأن رزق العبيد على مولاهم(44).

---

(35)مسلم، صحيح مسلم ج1، رقم الحديث/ 85/ 90.7

(36)شلتوت، محمود شلتوت، إلى القرآن الكريم، دار الهلال، 124.

(37)الطبري، جامع البيان، 28/8.

(38)الجوزي: زاد المسير في علم التفسير، 148/3.

(39)ابن حيان، تفسير البحر المحيط، 251/4.

(40)سورة التكوير الآيتان: 8-9.

(41)البخاري، صحيح البخاري، ج3، رقم الحديث 2615/ 1017.

(42)الشوكاني، الأمام الشوكاني، تفسير الأمام الشوكاني المسمى فتح القدير الجامع بين الدراية والرواية في علم التفسير، زبدة التفسير في فتح القدير، تحقيق محمد سليمان عبدالله، ط2، 189/1988.

(43)سورة الأنعام، الآية 151.

(44)القاسمي، الأمام العلامة جمال الدين القاسمي، المتوفي سنة 1332هـ، تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، ضبطه وصححه وخرج آياته وأحاديثه محمد باسل عيون السود، بيروت، 1988/ 4 / 536.

وفي تفسير قوله تعالى (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ۖ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا) (45) (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ) أي بالوَاد (مخافة إِمْلَاقٍ) فقر (نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا) أثماً (كبيراً) عظيماً(46).

المبحث الثالث: تفسير قوله تعالى (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)

يعني النفس التي حرم الله قتلها نفس مؤمن أو معاهد وقوله: (إِلَّا بِالْحَقِّ) يعني: بما أباح قتلها به، من ان تقتل نفساً، فتقتل قوداً بها، أو تزني وهي محصنة تترحم، أو ترتد عن دينها الحق تتقتل، فذلك الحق الذي أباح الله جل ثناؤه قتل النفس التي حرم على المؤمنين قتلها به، (ذَٰلِكُمْ) يعني: هذه الأمور التي عهد إلينا فيها ربنا أن لا نأتيه، وأن لا ندعه، هي الأمور التي أوصانا والكافرين بها نعمل جميعاً به.

(لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) يقول: أوصاكم بذلك لعلكم تعقلون ما وصاكم به ربكم(47).

(النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ): نفس مسلم أو معاهد المراد بالحق: أذن الشرع(48) وقوله (الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ) حواله على ما سبق العهد في تحريمها فلذلك وصفت بالتي وبالنفس المحرمة هي المؤمنة والذمية والمعاهدة وبالحق وبالسبب الموجب لقتلها كالردة والقصاص والزنا بعد الأحصان والمحاربة.

(ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) اشارة إلى جميع ما تقدم وفي لفظ وصاكم من اللطف والرأفة وجعلهم أوصياء له تعالى فلا يخفى من الأحسان ولما كان العقل مناط التكليف قال تعالى: (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) أي فوائد هذه التكاليف ومنافعها في الدين والدنيا والوصاة والأمر المؤكد المقرر(49).

قد جاء في الصحيحين عن بن مسعود (**t**) قال قال رسول الله (**r**): (لا يحل دم أمرى مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله بأحدي ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه والمفارق للجماعة)(50) وفي لفظ لمسلم: (والذي لا اله غيره لا يحل دم رجل وذكره وروى أبو داود والنسائي عن عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها وأرضاها) أن رسول الله (**r**): (لا يحل دم أمرئ مسلم إلا بأحدى ثلاث خصال زان محض يرجم، ورجل قتل متعمداً فيقتل، ورجل يخرج عن الإسلام وحارب الله ورسوله فيقتل أو يصلب أو ينفى من الأرض)(51).

وعن أمير المؤمنين عثمان بن عفان (**t**) أنه قال وهو محصور: سمعن رسول الله (**r**) يقول: (لا يحل دم أمرئ مسلم إلا بأحدى ثلاث: رجل كفر بعد اسلامه، أو زنى بعد حصانة، أو قتل بغير نفس) (فو الله ما زنيت في جاهلية وأسلام ولا تمنيت أن لي بديني بدلاً منه بعد أن هداني الله، ولا قتلت نفساً فبم تقتلوني)(52)

---

(45)سورة الأسراء، الآية 31.
(46)الجلالين جلال الدين محمد بن أحمد، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط1، بيروت، 196.
(47)الطبري، جامع البيان، 84/8.
(48)الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، 148/3.
(49)ابن حيان، تفسير البحر المحيط، 252/4.
(50)البخاري صحيح البخاري، ج4، رقم الحديث 1899، 310.
(51)مسلم، صحيح مسلم، ج3، رقم الحديث 1676/ 1302.
(52)النسائي، أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار أبو عبدالرحمن النسائي المتوفي سنة 303هـ، السنن الكبرى، ج2/ رقم الحديث 3511/ 299.

قال تعالى: چ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا چ(53)

وقال تعالى: (وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (68) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (69) إِلا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (70)) (54) وقال تعالى:(مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا) (55) وقال تعالى: (وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (8) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (9)) (56).

وقال النبي محمد (r): (إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار) قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: (لأنه كان حريصاً على قتل صاحبه)(57).

وقد جاء في تفسير الشوكاني فتح القدير الجامع بين الدراسة والرواية في علم التفسير ومن الحق قتل النفس قصاصاً، وقتلها بسبب زنى المحصن، وقتلها بسبب الردة وهذه هي الأسباب التي ورد الشرع بها(58).

وفي تفسير قوله تعالى (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ) أي قتلها لأيمانها وأمانيها (الَّا بِالْحَقِّ) أي بالعدل، يعني بالقود والرجم والارتداد.

(ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ) تلطفاً ورأفة (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) يعني: لتعقلوا عظمها عند الله تعالى فتكفوا عن مباشرتها(59).

الفصل الثالث: في القيم الإجتماعية

المبحث الأول: صون الأعراض

القول في تأويل قوله تعالى: (وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ) (60) يقول تعالى ذكره: ولا تقربوا الظاهر من الأشياء المحرمة عليكم، التي هي علانية بينكم، ولا تناكرون ركبوها، والباطن فيها الذي تأتونه سراً في خفاء لا تجهرون به، فأن كل ذلك حرام.

وقد قيل: أنما قيل لا تقربوا ما ظهر من الفواحش وما بطن، لأنهم كانوا يستقبحون من معاني الزنا بعضاً، وليس ما قالوا من ذلك بمدفوع، غير أن دليل الظاهر من التنزيل على النهي عن ظاهر كل فاحشة وباطنها، ولا خير بقطع العذر بأنه عني به بعض دون جميع، وغير جائز إحالة ظاهر كتاب الله إلى باطن إلا بحجة يجب التسليم لها(61).

---

(53)سورة النساء، الآية 93.
(54)سورة الفرقان، الآية (68، 69، 70).
(55)سورة المائدة، الآية 32.
(56)سورة التكوير، الآية (8-9).
(57)البخاري، صحيح البخاري، ج1/ رقم الحديث 31/ 20.
(58)الشوكاني، فتح القدير الجامع بين الدراية والرواية في علم التفسير، 189.
(59)القاسمي، محاسن التأويل، 536.
(60)سورة الأنعام، الآية 151.
(61)الطبري، جامع البيان، 83/8.

(في كتاب زاد المسير في علم التفسير للجوزي فقد قال في قوله تعالى: (وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ) فيه خمسة أقوال:

أولهما: أن الفواحش: الزنا وما ظهر منه: الأعلان به، وما بطن: الاستسرار به، قاله ابن عباس والحسن والسدي.

ثانيهما: أن ما ظهر/ الخمر، ونكاح المحرمات... وما بطن: الزنا، قاله سعيد بن جبر، ومجاهد.

ثالثهما: أن ما ظهر: الخمر، وما بطن: الزنا قاله الضحاك.

رابعهما: أنه عام في الفواحش، وظاهرها: علانيتها، وباطنها سرها قاله قتادة.

خامسهما: أن ما ظهر: أفعال الجوارح، وما بطن: اعتقاد القلوب، ذكره الماوردي في تفسير هذا الموضع)(62).

قال تعالى: (وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً)(63).

وقال تعالى: (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا إِلَّا مَن تَابَ)(64).

قال تعالى: (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) (65).

وثبت عن رسول الله (r): أنه قال (لا يزني الزاني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا ينتهب نهبه ذات شرف يرفع الناس إليه أبصارهم حين ينتبهها وهو مؤمن)(66).

وقال (r): (إذا زنى العبد خرج منه الأيمان فكأن كالظلمة على رأسه ثم إذا قلع رجع إليه الأيمان)(67).

وجاء عن النبي محمد (r) أن أبليس يبث جنوده في الأرض ويقول لهم أيكم أضل مسلماً البسه التاج على رأسه، فاعظمهم فتنة أقربهم إليه منزلة، فجيء إليه أحدهم فيقول له: لم أزل لفلان حتى طلق أمراته، فيقول له: ما صنعت شيئاً سوف يتزوج غيرها، ثم يجيء الأخر فيقول: لم أزل بفلان حتى القيت بينه وبين أخيه العداوة، فيقول: ما صنعت شيئاً فسوف يصالحهُ، ثم يجيء الأخر فيقول: لم أزل بفلان حتى زنى: فيقول أبليس: نعم ما فعلت فيدنيه ويضع التاج على رأسه، ونعوذ بالله من شرور الشيطان وجنوده(68).

---

(62) الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، 148/3.
(63) سورة الأسراء، الآية 32.
(64) سورة الفرقان، الآية 68، 69، 70.
(65) سورة النور، الآية 2.
(66) البخاري/ صحيح البخاري/ ج 2/ رقم الحديث 2343/ 875.
(67) الترمذي، سنن الترمذي/ ج5/ رقم الحديث / 2625/ 15.
(68) الذهبي/ الأمام الحافظ المحدث شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قيماز الذهبي، المتوفي سنة 748هـ، الدار العربية/ بغداد/ 8.

المنقول فيما ظهر وما بطن كالمنقول في قال تعالى: (وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ) (69) كما تقدم في تفسير قوله تعالى في سورة الأنعام الآية 120(70).

في صحيح البخاري قال سعد بن قتادة لو رأيت مع أمرأتي رجلاً لضربته بالسيف غير مصفح، فبلغ ذلك رسول الله (r) فقال: (أتعجبون من غيرة سعد؟ فو الله لا أنا أغير من سعد والله أغير مني من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن)(71).

كما تحدث عم هذه الوصية، صاحب كتاب تفسير القاسمي/ محاسن التأويل حيث يقول في قوله تعالى:(وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ) يعني الزنى لقوله تعالى: (وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً) (72)وأنما جيء بصفة الجمع قصداً إلى النهي عن أنوعاه أو مبالغة أو باعتبار تعدد من يصدر منه (مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ) يعني علانية وسرهُ(73).

المبحث الثاني: حفظ أموال اليتامى

في تفسير قوله تعالى: (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ) (74). ولا تقربوا ماله إلا بما فيه صلاحه وتثميره.

كما حدثني المثنى، قال ثنا الحماني، قال ثنا شريك، عن ليث عن مجاهد: (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) قال: التجارة فيه حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال ثنا اسباط/ عن السدي.

(وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَن) فليثمر ماله.

حدثني الحرث، قال: ثنا عبدالعزيز، قال ثنا فضيل بن مرزوق العنزي، عن سليط بن بلال، عن الضحاك بن مزاحم، في قوله تعالى:(وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَن) قال ينبغي له فيه، ولا يأخذ من ربحه شيئاً.

حدثني يونس، قال: أخبرنا بن وهب، قال: قال بن زيد في قوله تعالى: (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَن) قال: التي هي أحسن: أن يأكل بالمعروف أن افتقر وأن استغنى فلا يأكل، قال تعالى: (وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ)(75) قال: سئل عن الكسوة فقال: لم يذكر الله الكسوة أنما ذكر الأكل.

وأما قوله تعالى: (حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ) فأن الأشد جمع شدَّ، كما الأضر جمع ضرّ الأشر جمع شرّ(76).

أنما خص مال اليتيم لأن الطمع فيه القلة مراعية وضعف مالكه، أقوى وفي قوله تعالى: (إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَن) أربعة أقوال:

أولهما: أنه أكل الوصي المصلح للمال بالمعروف وقت حاجته قاله ابن عباس وبن زيد.

---

(69)سورة الأنعام، الآية 120.
(70)أب حيان، تفسير البحر المحيط/ 252/4.
(71)البخاري/ صحيح البخاري/ ج6/ رقم الحديث 6454/ 2511.
(72)سورة الاسراء/ الآية 32.
(73)القاسمي/ محاسن التأويل/ 536.
(74)سورة الأنعام/ الآية 152.
(75)سورة النساء/ الآية 6.
(76)الطبراني/ جامع البيان/ 84/8-85.

ثانيهما: التجارة فيه، قاله سعيد بن جبير، ومجاهد، والضحاك، والسدي.

ثالثهما: حفظه له إلى وقت تسليمه إليه، قاله بن السائب.

رابعهما: أنه حفظه عليه، وتشميره له، قاله الزجاج، قال: (حَتَّىٰ) محمول على المعنى فالمعنى احفظوا عليه حتى يبلغ أشده، فإذا بلغ أشده فادفعوده إليه فأما الأشدُّ، فهو استحكام قرة الشباب والسن(77).

قال العلماء فكل ولي ليتيم إذا كان فقيراً فأكل من ماله بالمعروف بقدر قيامه عليه في مصالحه وتنمية ماله، فلا بأس عليهن وما زاد على المعروف فيحسب حرام لقوله تعالى: (وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ) (78).

وفي الأكل بالمعروف أربعة أقوال:

أولهما: أنه الأخذ على وجه الغرض.

ثانيهما: الأكل بقدر الحاجة من غير إسراف.

ثالثهما: أنه بقدر الحاجة إذا عمل لليتيم عملاً.

رابعهما: أنه الأخذ عند الضرورة فأن أيسر قضاة، وأن لم يوسر فهو في حل وهذه الأقوال ذكرها ابن الجوزي أعلاه في تفسيره(79).

تفسير قوله تعالى (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ) هذا نهي عن القرب الذي يعم جميع وجوه التصرف وفيه سد الذريعة: (إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) أي بالخصلة التي هي أحسن في حق اليتيم ولم يأت إلا بالتي هي حسنة بل جاء بافعل التفضيل مراعاة لملل اليتيم وأنه لا يكفي فيه الحالة الحسنة بل الخصلة الحسنى وأموال الناس ممنوع من قربانها ونص على اليتيم لأن الطمع فيه أكثر لضعفه وقلة مراعاته.

وفي قوله تعالى: (حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ) هذه غاية من حيث المعنى لا من حيث هذا التركيب اللفظي ومعناه أحفظوا على اليتيم ماله إلى بلوغ أشده فادفعوا إليه وبلوغ الأشد هنا لليتيم هو بلوغ الحلم(80).

وقد تحدث عن هذه الوصية أيضاً صاحب كتاب الجامع لأحكام القرآن القرطبي حيث يقول في قوله تعالى: (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) أي بما فيه صلاحه وتثميره، وذلك بحفظ أصوله وتثمير فروعه وهذا أحسن الأقوال في هذا فأن جامع قال مجاهد في قوله تعالى: (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) بالتجارة فيه ولا تشتري منه ولا تستقرض وفي قوله تعالى: (حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ) يعني قوته ورشده(81).

عن ابن عباس (t) لما أنزل الله: (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (82). وقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا)(83). انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه، فجعل يفضل الشيء فيحبس له حتى يأكله

---

(77)الجوزي/ زاد المسير في علم التفسير/ 3/148-149.
(78)سورة النساء/ الآية 6.
(79)الذهبي/ الكبائر/ 71.
(80)أبي حيان/ تفسير البحر المحيط/ 4/252.
(81)القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن/ 4/88.
(82)سورة الأنعام/ الآية 152.
(83)سورة النساء/ الآية 10.

أو يفسد فاشتد ذلك عليهم. فذكروا ذلك لرسول الله (r) فأنزل الله تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ) (84). قال فخلطوا طعامهم بطعامهم وشرابهم بشرابهم(85). وقوله تعالى: (حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ)

قال الشعبي ومالك يعني حتى يحتلم وقال السدي، حتى يبلغ ثلاثين سنة وقيل أربعون سنة (86).

وقد تحدث أيضاً عن هذه الوصية الأمام الشوكاني في كتاب فتح القدير الجامع بين الدراية والرواية في علم التفسير حيث قال في قوله تعالى: (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ) أي لا تتعرضوا له بوجه من الوجوه أي بالخصلة: (بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) وهي ما فيه من أصلاح ونفع لليتيم وزيادة في ماله: (حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ) بلوغه واياناس رشده، وهو أم يكون في تصرفاته بماله سالكاً مسلك الراشدين ولا مسلك أهل السفه والتبذير(87).

كما وتحدث عن هذه الوصية صاحب كتاب تفسير القاسمي حيث يقول في قوله تعالى: (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ) أي بوجه من الوجوه (إِلَّا بِالَّتِي) أي الخصلة التي (هِيَ أَحْسَنُ) يعني أنفع له كتثميره أو حفظه أو أخذه قرضاً. لا يأكله أو أنفاقه في مآربكم ولأتلافه، فأنه أفحش وقد ذكرنا طرفاً فيما رخص فيه لولي اليتيم أو وصية في قوله تعالى:(وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ) (88). وفي قوله تعالى: (حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ) أي قوته التي يقدر بها على حفظه واستنمائه، وهذا غاية لما يفهم من الأستثناء لا للنهي كافة. قيل: أحفظوه حتى يصير بالغاً رشيداً فحينئذ سلموه إليه.

والأشد جمع (شده) كنعمة أو أنعم أو أشد كصير وأصرُ(89).

المبحث الثالث: القسط في المكاييل والموازيين

القول في تأويل قوله تعالى: (أَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) .

يقول تعالى ذكره: قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئاً أوفوا الكيل والميزان.

يقول: لا تبخسوا الناس الكيل إذا كلتموهم، والوزن إذا وزنتموهم، ولكن أوفوهم حقوقهم وايفاؤهم ذلك اعطاؤهم حقوقهم تامة بالقسط سعني: بالعدل.

وأما قوله تعالى: (لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) فأنه يقول: لا تكلف نفساً في ايفاء الكيل والوزن إلا ما يسعها، فيحل لها، ولا تحرج فيه، وذلك أن الله جل ثناؤه علم من عباده أن كثيرا منهم تضيق نفسه عن أن تطيب لغيره بما لا يحب عليها له فأمر المعطي بإيفاء رب الحق حقه الذي هو له، ولم يكلفه الزيادة لما في الزيادة عليه من ضيق نفسه بها، وأمر الذي له الحق بأخذ حقه، ولم يكلفه الرضا باقل منه(90).

---

(84)سورة البقرة/ الآية 220.

(85)أبي داود/ الأمام الحافظ المصنف المتقن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي المتوفي سنة 225هـ/ سنن أبي داود/ دار الحديث القاهرة/ رقم الحديث/ 2871/ باب مخالطة اليتيم في الطعام 114/3.

(86)ابن كثير/ الأمام الجليل الحافظ أبي الفداء إسماعيل ابن كثير الدمشقي المتوفي/ سنة 774هـ/ مختصر تفسير ابن كثير/ تحقيق محمد علي الصابوني، ط1/ بيروت/ 1988/ 633.

(87)الشوكاني/ فتح القدير الجامع بين الدراية والرواية في علم التفسير/ 189.

(88)سورة النساء/ الآية 6.

(89)القاسمي/ محاسن التأويل/ 537-538.

(90)الطبري/ جامع البيان، 8/ 85-86.

تفسير قوله تعالى: (أَوْفُوا الْكَيْلَ) أي: أتموه ولا تنقصوا منه و (وَالْمِيزَانَ) أي: وزن الميزان والقسط: العدل(91).

قال تعالى (وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ) (92) يعني الذين ينقصون الناس ويبخسون حقوقهم في الكيل والوزن، وقوله تعالى (الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ) (93) يعني يستوفون حقوقهم منها، قال الزجاج: المعنى إذا اكتالوا من الناس استوفوا عليهم وكذلك اذا اتزنوا ولم يذكر (إذا اتزنوا) لأن الكيل والوزن بهما الشراء والبيع فيما يكال ويوزن، فأحدهما يدل على الأخر وقوله تعالى (وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ) (94) أي ينقصون في الكيل والوزن.

وقال السدي: لما قدم رسول الله (r) إلى المدينة وبها رجل يقال له أبو جهينة له مكيالان يكيل بأحداهما ويكتال بالأخر فأنزل الله هذه الآية. وقد أخذنا أبو علي الروذباري أنبأ الحسين بن الحسن بن أيوب أنبأ أبو حاتم ثنا معاذ بن أسد المروزي أنبأ الفضل بن موسى الشيباني بن واقد عن عبدالله بن بريده عن بن عباس قال، قال رسول الله (r): (ما نقض قوم العهد قط إلا سلط الله عليهم عدوهم ولا فشت الفاحشة في قوم إلا أخذهم الموت وما طفف قوم الميزان أخذهم الله بالسنيين وما منع قوم الزكاة إلا منع الله عنهم المطر من السماء وما جار قوم في حكم إلا كان اليأس بينهم) أظنه قال والقتل(95).

وقوله تعالى: (أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ) (96) قال الزجاج: المعنى لو ظنوا أنهم مبعوثون ما نقصوا في الكيل والوزن وقوله تعالى: (لِيَوْمٍ عَظِيمٍ)(97) أي يوم القيامة (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ)(98)من قبورهم (لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)(99) أي لأمره وجزاءه وحسابه وقيل يقومون بين يديه لفصل القضاء وعن مالك بن دينار دخل علي جاري وقد نزل الموت به وهو يقول: جبلين من نار جبلين من نار(100) قال: قلت ما تقول قال يا يحيى كان لي مكيلان كنت أكيل بأحداهما وأكتال بالأخر وقال مالك بين دينار قمت فجعلت اضرب أحداهما بالأخر فقال: يا يحيى كلما ضربت أحداهما بالأخر أزداد الأمر عظما وشدة فمات في مرضه(101).

وقد تحدث عن هذه الوصية تفسير كتاب البحر المحيط أبي حيان في تفسير قوله تعالى: (وأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ) (102) أي بالعدل والتسوية وقيل القسط هنا أدنى زيادة ليخرج بها عن العهده يتيقن لما روي إذا وزنتم فأرجحوا.

---

(91) الجوزي/ زاد المسير في علم التفسير/ 150/3.
(92) سورة المطففين/ الآية 1.
(93) سورة المطففين/ الآية 2.
(94) سورة المطففين/ الآية 3.
(95) البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، ج3/ رقم الحديث 6191/ 346.
(96) سورة المطففين/ الآية 4.
(97) سورة المطففين/ الآية 5.
(98) سورة المطففين/ الآية 6.
(99) سورة المطففين/ الآية 6.
(100) أبي عاصم/ بن أبي عاصم الحافظ الكبير أبو بكر أحمد بن عمروا بن نبيل أبي عاصم الشيباني/ كتاب الزهد ج326/1.
(101) الذهبي الكبائر/ 263.
(102) سورة الأنعام/ الآية 152.

قولـه تعـالى: (لَا نُكَلِّـفُ نَفْسًـا إِلَّا وُسْـعَهَا) (103) أي إلا مـا يسـعها ولا تعجـز عنـه ولمـا كانـت مراعـاة الحد من القسط الذي لا زيادة فيه ولا نقصان يجري فيها الحرج(104).

وهذا يقضـي أن هذه الأوامـر أنمـا هـي تقـع تحـت قـدرة البشـر فـي الـتحفظ والتحـرر ومـا لا يمكـن الأضـرار عنه من تفاوت ما بين الكيلين ولا يدخل تحت قدرة البشر فمعفو عنه. وقيل الكيل بمعنى المكيال.

يقـال: هـذا كـذا كـيلاً؛ ولهـذا عطـف عليـه بـالميزان، وقـال بعـض العلمـاء: لمـا علـم الله سـبحانه وتعـالى مـن عبـاده أن كثيـراً مـنهم تضـيق نفسـهُ عـن أن تطيـب للقبـر بمـا لا يجـب عليهـا لـه أمـر لمعطـي بإيفـاء رب الحـق حقه الـذي هـو لـه، ولـم يكلفـه الزيـادة لمـا فـي الزيـادة عليـه مـن ضـيق نفيـه بهـا وأمـر صـاحب الحـق بأخـذ حقـه ولـم يكلفـه الرضـا بأقـل منـه، لمـا فـي النقصـان مـن ضـيق نفسـه، وفـي موطـأ مالـك عـن يحيـى بـن سـعيد أنـه بلغـهُ عـن عبـدالله بـن عبـاس (t) قـال: مـا ظهـر الغلـول فـي قـوم قـط إلا لقـي الله فـي قلـوبهم الرعـب، ولا فشـا الزنـا فـي قـوم الأكثـر فـيهم المـوت، ولا نقـص قـوم المكيـال والميـزان إلا قطـع عـنهم الـرزق، ولا حكـم قـوم بغيـر الحـق إلا فشـا فـيهم الـدم، ولا أغتـر قـوم فـي العهـد إلا سـلط علـيهم العـدو، قـال ابـن عبـاس أيضـاً أنكم معشر الأعاجم قد وليتم أمرين بهما هلك من كان قبلكم الكيل والميزان(105).

وقـد تحـدث عـن هـذه الوصـية الشـوكاني صـاحب كتـاب فـتح القـدير الجـامع بـين الدرايـة والروايـة فـي علـم التفسير حيث قال في قوله تعالى: (وأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا)(106).

(وأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ) (107) أي في العدل في الأخذ والأعطاء عن البيع والشراء.

(لَا نُكَلِّـفُ نَفْسًـا إِلَّا وُسْـعَهَا) (108) اي لا طاقتهـا فـي كـل تكليـف مـن التكـاليف، ومنـه التكليـف بايفـاء الكيل والوزن بما يمكن الأضرار عنه في الزيادة والنقصان(109).

الفصل الرابع: في القيم الروحية

المبحث الأول: العدل في القول

تفسير قوله تعالى: (وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا)(110) وإذا حكمتم بين الناس فتكلمتم، فقولوا الحق لينهم وأعدلوا وانصفوا ولا تجوروا، ولو كان الذي يتوجه الحق عليه والحكم ذا قرابة لكم، ولا يحكمنكم قرابة قريب، أو صداقة صديق، حكمتم بينه وبين غيره، أن تقولوا غير الحق فيما أحتكم إليكم فيه(111).

إذا تكلمتم أو شهدتم فقولوا الحق ولو كان المشهود له أو عليه ذا قرابة(112).

وقد تحدث عن هذه الوصية صاحب كتاب تفسير البحر المحيط أبي حيان حيث يقول في قوله تعالى (قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ) (113) أي ولو كان المقول له أو عليه ذا قرابة للقائل فلا ينبغي أن يزيد ولا ينقص(114).

---

(103)سورة الأنعام/ الآية 152.
(104)ابن حيان تفسير البحر المحيط/ 253/4.
(105)القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن/ 89/4.
(106)سورة الأنعام/ الآية 152.
(107)سورة الأنعام/ الآية 152.
(108)سورة الأنعام/ الآية 152.
(109)الشوكاني/ فتح القدير الجامع بين الدراية والرواية في علم التفسير/ 189.
(110)سورة الأنعام/ الآية 152.
(111)الطبري جامع البيان/ 86/8.
(112)الجوزي/ زاد المسير في علم التفسير/ 151/3.

قوله تعالى: (وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا) (115) يتضمن الأحكام والشهادات.

قوله تعالى: (وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ) (116) أي ولو كان الحق على مثل قراباتكم كقوله تعالى: (وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوْ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ)(117) أي قول الحق(118). قوله تعالى: (وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ)(119).

كقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء) (120) يأمر تعالى بالعدل في الفعال والمقال على القريب والبعيد، والله تعالى يأمر بالعدل لكل أحد في كل وقت وفي كل حال(121)، وفي تفسير قوله تعالى:(وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ) (122) (في خير أو شهادة أو جرح أو تعديل فاعدلوا فيه وتحروا الصواب، ولا تتعصبوا في ذلك القريب ولا على البعيد، ولا تميلوا إلى صديق ولا عدو بل سووا بين الناس) (123) (وَإِذَا قُلْتُمْ) (124) أي: في حكومة أو شهادة ونحوها (فَاعْدِلُوا) (125) أي: لا تقولوا إلا الحق قوله تعالى: (وَلَوْ كَانَ) (126) أي: المقول له أو عليه قوله تعالى: (ذَا قُرْبَىٰ) (127)أي ذا قرابة منكم فلا تميلوا في القول له أو عليه إلى زيادة أو نقصان.

قال بعض الزيدية: معنى قوله تعالى: (وَإِذَا قُلْتُمْ) (128) أي أصدقوا في مقالاتكم، قال وهذه اللفظ من الأمور العجيبة في عذوبة لفظها وقلة حروفها وجمعها لأمور كثيرة من الإقرار والشهادة والوصايا والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والفتاوي والأحكام والمذاهب.

ثم أن أكد ذلك وبين أنه يلزم العدل في القول ولو كان المقول له ذا قربى(129).

المبحث الثاني: الوفاء بالعهد

تفسير قوله تعالى: (وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (130) يقول: وبوصية الله التي أوصاكم بها فأوفوا، وإيفاء ذلك أن يطيعوه فيما أمرهم به ونهاهم، وأن يعملوا بكتابه وسنة رسوله (r)وذلك هو الوفاء بعهد الله، وأما قوله تعالى: (ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ) (131)يقول تعالى ذكره لنبيه محمد (r): قل للعادلين بالله الأوثان والأصنام من قومك هذه الأمور التي ذكرت لكم في هاتين الآيتين، هي الأشياء التي عهد إلينا ربنا ووصاكم بها

---

(113)سورة الأنعام/ الآية 152.
(114)ابي حيان/ تفسير البحر المحيط/ 253/4.
(115)سورة الأنعام/ الآية 152.
(116)سورة الأنعام/ الآية 152.
(117)سورة النساء/ الآية 135.
(118)القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن/ 89/4.
(119)سورة الأنعام/ الآية 152.
(120)سورة المائدة/ الآية 8.
(121)ابن كثير/ مختصر تفسير ابن كثير/ 633.
(122)سورة الأنعام/ الآية 52.
(123)الشوكاني/ فتح القدير الجامع بين الدراية والرواية في علم التفسير/ 189.
(124)سورة الأنعام/ الآية 152.
(125)سورة الأنعام/ الآية 152.
(126)سورة الأنعام/ الآية 152.
(127)سورة الأنعام/ الآية 152.
(128)سورة الأنعام/ الآية 152.
(129)القاسمي/ محاسن التأويل/ 539.
(130)سورة الأنعام/ الآية 152.
(131)سورة الأنعام/ الآية 152.

ربكم وأمركم بالعدل بها(132)، وعهد الله يشتمل على ما عهده إلى الخلق ووصاهم به وعلى ما أوجبه الإنسان على نفسه من نذر وغيره (وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (133) أي لتذكروه وتأخذوا به (134).

قوله تعالى: (وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا) (135) ويحتمل مضافاً إلى الفاعل أي بما عاهدتم الله عليه أوفوا وأن يكون مضافاً إلى المفعول أي بما عاهدتم الله عليه وقيل يحتمل أن يراد به العهد بين الإنسانيين وتكون اضافته إلى الله تعالى من حيث أمر بحفظه والوفاء به(136).

قال الله تعالى: (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا) (137) قال الزجاج: كل ما أمر الله به أو نهى عنه فهو من العهد.

قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) (138)

قال الواحدي قال بن عباس في رواية الوالي (العهود) يعني ما أحل وما حرم وما فرض وما حد في القرآن الكريم.

وقال الضحاك: العهود التي أخذ الله على هذه الأمة أن يوفوا بها مما أحل وحرم وما فرض في الصلاة وسائر الفرائض. والعهود، كذلك العهود جمع عهد: العقد بمعنى العقود وهو الذي أحكم ما فرض الله علينا فقد أحكم ذلك ولا سبيل إلى نقضه بحال وقال مقاتل ابن حيان/ أوفوا بالعقود، التي عهد الله إليكم في القرآن مما أمركم به من طاعته أن تعلموا بها ونهيه الذي نهاكم عنه، وبالعهود الذي بينكم وبين المشركين وفيما يكون في العهد بين الناس والله أعلم(139).

حدثنا قبيصة بن عقبة قال حدثنا سفيان عن الأعمش عن عبدالله بن مرة عن مروق عن عبدالله بن عمرو أن النبي (r) قال: (أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا حدث كذب، وإذا اؤتمن خان، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر) مخرج في الصحيحين (140).

في تفسير قوله تعالى: (وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا) (141) عام في جميع ما عهده الله إلى عبادة ويحتمل أن يراد به جميع ما انعقد بين إنسانيين وأضيف ذلك العهد إلى الله من حيث أمر بحفظه والوفاء به: (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (142) تتعظون(143). (قال جرير: يقول وبوصية الله التي أوصاكم بها فأوفوا، وايفاء ذلك

---

(132) الطبري/ جامع البيان/ 86/8.
(133) سورة الأنعام/ الآية 152.
(134) الجوزي/ زاد المسير في علم التفسير/ 151/3.
(135) سورة الأنعام/ الآية 152.
(136) أبي حيان/ تفسير البحر المحيط/ 253/4.
(137) سورة الإسراء/ الآية 34.
(138) سورة المائدة/ الآية 1.
(139) الذهبي الكبائر/ 191.
(140) البخاري/ صحيح البخاري/ ج1/ رقم الحديث 34 / 27.
(141) سورة الأنعام/ الآية 152.
(142) سورة الأنعام/ الآية 152.
(143) القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن/ 89/4.

أن تطيعوه فيما أمركم ونهاكم، وتعملوا بكاتبه وسنة رسوله الكريم (r) وذلك هو الوفاء بعهد الله، قوله تعالى: (ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (144).

يقول تعالى هذا وصاكم به وأمركم به وأكد عليكم فيه: (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (145) أي تتعظون وتنتهون عما كنتم فيه)(146) (وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا) (147) أي إذا عاهدتم الله أو عاهدتم بالله فأوفوا ومن أسلم فقد عاهد الله على طاعته (ذَٰلِكُمْ) (148) ما تقدم ذكره (وَصَّاكُم بِهِ) (149) أمركم به أمراً مؤكداً(150) قوله تعالى: (وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا) (151) أي ما عهد إليكم من الأمور المعدودة، أو أي عهد كان فيدخل فيه ما ذكر دخولا أوليا، أما ما عاهدتم الله عليه في الأيمان والنذور (ذَٰلِكُمْ) (152) اشارة إلى ما ذكر في هذه الآيات (وَصَّاكُم بِهِ) (153) أي أمركم بالعمل به في الكتاب (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (154) أي تتعظن وفي قوله تعالى: (ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ) (155) تأكيد أخر.

المبحث الثالث: سبيل الله المستقيم

تفسير قوله تعالى: (وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(156).

يقول تعالى ذكره: وهذا الذي وصاكم به ربكم أيها الناس في هاتين الآتيين (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ) (157)وأمركم بالوفاء به، هو صراطه، يعني طريقه ودينه الذي ارتضاه لعباده تعالى: (مُسْتَقِيمًا)(158) يعني: قويماً لا أعوجاج به عن الحق: (فَاتَّبِعُوهُ)(159) يقول: فاعملوا به، وأجعلوه لأنفسكم منهاجاً تسلكونه فاتبعوه قوله تعالى: (وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ)(160) يقول لا تسلكوا طريقاً سواه، ولا تركبوا منهاجاً غيره، ولا تتبعوا ديناً خلافه من اليهودية والنصرانية والمجوسية وعبادة الأوثان وغير ذلك من الملل فأنها بدع وضلالات: (فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) (161) يقول فتشتت بكم أن اتبعتم السبل المحدثة التي ليست لله بسبيل ولا طرق ولا أديان اتباعكم أياها عن سبيله، يعني عن طريقه ودينه الذي شرعه لكم وارتضاه، وهو الإسلام الذي وصى به الأنبياء وأمر به الأمم قبلكم.

---

(144) سورة الأنعام/ الآية 152.
(145) سورة الأنعام/ الآية 152.
(146) ابن كثير/ مختصر تفسير ابن كثير/ 633.
(147) سورة الأنعام/ الآية 152.
(148) سورة الأنعام/ الآية 152.
(149) سورة الأنعام/ الآية 152.
(150) الشوكاني/ فتح القدير الجامع بين الدراية والرواية في علم التفسير/ 189.
(151) سورة الأنعام/ الآية 152.
(152) سورة الأنعام/ الآية 152.
(153) سورة الأنعام/ الآية 152.
(154) سورة الأنعام/ الآية 152.
(155) سورة الأنعام/ الآية 152.
(156) سورة الأنعام/ الآية 153.
(157) سورالأنعام/ الآية 151.
(158) سورة الأنعام/ الآية 153.
(159) سورة الأنعام/ الآية 153.
(160) سورة الأنعام/ الآية 153.
(161) سورة الأنعام/ الآية 153.

قولـه تعـالى: (ذَلِكُـمْ وَصَّـاكُمْ بِـهِ)(162) يقـول تعـالى: ذكـره هـذا الـذي وصـاكم بـه ربكـم فـي قولـه لكـم: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ) (163)وصاكم به.

وقولـه تعـالى: (لَعَلَّكُـمْ تَتَّقُـونَ) (164) يقـول لتتقـوا الله فـي أنفسـكم فـلا تهلكوهـا، وتحـذروا ربكـم فيهـا فـلا تسخطوه عليها، فيحل بكم نقمته وعذابه(165).

وتفسير قوله تعالى: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(166).

في (الصراط) قولان:

أحداهما: أنه القرآن.

الثاني: الإسلام.

أمـا فـي (السُّـبُلَ)(167) فقـال ابـن عبـاس (t) الضـلالات وقـال مجاهـد البـدع والشـبهات، وقـال مقاتـل: أراد مـا حرمـوا علـى أنفسـهم مـن الأنعـام والحـرث: (فَتَفَـرَّقَ بِكُـمْ عَـنْ سَـبِيلِهِ)(168) أي: فتضـلكم عـن دينـه(169). وقولـه تعـالى: (وَأَنَّ هَـذَا صِـرَاطِي مُسْـتَقِيمًا فَـاتَّبِعُوهُ)(170) يقـرأ أن بـالفتح ، وأن هـذا بكسـر الهمـزة وتشـديد النـون علـى الاسـتئناف فـاتبعوه جملـة معطوفـة علـى الجملـة المسـتأنفة وقولـه تعـالى: (وَلا تَتَّبِعُـوا السُّـبُلَ فَتَفَـرَّقَ بِكُـمْ عَـنْ سَـبِيلِهِ)(171) قـال ابـن عبـاس (t) هـي الضـلالات وقـال مجاهـد (t) هـي البدع والأهواء والشبهات(172).

وقيل سبيل الله الكفر كاليهودية والنصرانية والمجوسية وما يجري مجراهم في الكفر والشرك.

أخبرنا إبراهيم بن علي بن عبدالعزيز العمري بالموصل حدثنا معطي بن مهدي حدثنا حماد بن زيد عن عاصم بن أبي وائل عن ابن مسعود (t) قال خط لنا رسول الله (r): (خطا ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطاً عن يمينه ويساره ثم قال هذه سبل على كل سبيل فيها شيطان يدعوا إليها ثم قرأ الآية(173) (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (174).

---

(162) سورة الأنعام/ الآية 153.
(163) سورة الأنعام/ الآية 153.
(164) سورة الأنعام/ الآية 153.
(165) الطبري/ جامع البيان/ 8/ 87-88.
(166) سورة الأنعام/ الآية 153.
(167) سورة الأنعام/ الآية 153.
(168) سورة الأنعام/ الآية 153.
(169) الجوزي زاد المسير في علم التفسير/ 3/151-152.
(170) سورة الأنعام/ الآية 153.
(171) سورة الأنعام/ الآية 153.
(172) أبي حيان/ تفسير البحر المحيط 4/254.
(173) ابن حبان/ الأمام العلامة المجود شيخ خراسان أبو حاتم محمد بن أحمد بن حيان المتوفي سنة 358هـ صحيح ابن حيان، ج1، رقم الحديث 6/180.
(174) سورة الأنعام/ الآية 153.

قولـه تعـالى: (ذَلِكُـمْ وَصَّـاكُمْ بِـهِ لَعَلَّكُـمْ تَتَّقُـونَ)(175) كـرر التوصـية علـى سـبيل التوكيـد ولمـا كـان الصـراط المسـتقيم هـو الجـامع للتكـاليف وأمـر تعـالى باتباعـه ونهـى عـن بينـات الطـرق خـتم ذلـك بـالتقوى التـي هـي اتقاء النار من اتبع صراطه نجاه النجاة الابدية على السعادة السرمدية(176).

قولــه تعــالى: (وَأَنَّ هَـذَا صِـرَاطِي مُسْـتَقِيمًا) (177) السـبيل الموصـل إلـى رضـائي وهـو دي الله، ثـم أمـرهم باتباعـه ونهـاهم عـن اتبـاع سـائر (السُّـبُلَ)(178) أي الأديـان المتباينـة طرقهـا (فَتَفَـرَّقَ بِكُـمْ)(179) أي تميـل بكـم (عَـنْ سَـبِيلِهِ) (180) أي عـن سـبيل الله المسـتقيم الـذي هـو ديـن الإسـلام، وهـذه السـبل تعـم اليهودية والنصرانية والمجوسية، وسائر الملل، والبدع والضلالات من الأهواء والشذوذ(181).

(وَأَنَّ هَـذَا صِـرَاطِي مُسْـتَقِيمًا) (182) يقـرأ بفـتح همـزة (أنّ) والتشـديد ومحلهـا مـع ماضـي خبرهـا الجـر بحـذف لأم العلـة، أي ولأن هـذا الـذي وصـيتكم بـه مـن الأمـر والنهـي طريقـي وديني الـذي ارتضـيته لعبـادي قويمـاً لا أعوجـاج فيـه فـاعملوا بـه وجـوز أن يكـون محلهـا مـع خبرهـا النصـب علـى (مـا حـرم) أي واتـل علـيكم أن هـذا صـراطي وقـريء بكسـرة الهمـزة علـى الاسـتئناف (وَلا تَتَّبِعُـوا السُّـبُلَ) (183) . أي يعنـي الأديـان المختلفـة أو طـرق البـدع والضـلالات (فَتَفَـرَّقَ بِكُـمْ عَـنْ سَـبِيلِهِ) (184) أي فتفـرقكم عـن صـراطه المستقيم وهو دين الإسلام الذي ارتضاه لعباده(185).

وفـي قولـه تعـالى: (وَأَنَّ هَـذَا صِـرَاطِي مُسْـتَقِيمًا فَـاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُـوا السُّـبُلَ فَتَفَـرَّقَ بِكُـمْ عَـنْ سَـبِيلِهِ)(186) جمـع الكلمـة وارتبـاط القلـوب حـول تركيـز شـرع الله والأعتصـام بحبـل الله والسـبيل للخيـر والفـلاح، ولـيس للتفـرق والتهلكـة وصـايا الله بعـث بهـا كـل رسـول وانـزل بهـا كـل كتـاب، فهـي شـرعه الـدائم وصـراطه المستقيم جاءتها كتاب موسى وجاء بها القرآن الكريم ليؤكد اللاحق السابق(187).

الخاتمة والاستنتاجات

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات ونرجو من الله العلي القدير أن يجعل من جهدنا هذا اليسير ما فيه النفع والفائدة في توضيح أهمية ما جاء في هذه عشر وصايا في سورة الأنعام في هذه الآيات الثلاث من قوله تعالى: (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ

---

(175) سورة الأنعام/ الآية 153.
(176) ابن حيان/ تفسير البحر المحيط/ 4/ 254.
(177) سورة الأنعام/ الآية 153.
(178) سورة الأنعام/ الآية 153.
(179) سورة الأنعام/ الآية 153.
(180) سورة الأنعام/ الآية 153.
(181) الشوكاني/ فتح القدير الجماع بين الدراية والرواية في علم التفسير/ 189.
(182) سورة الأنعام/ الآية 153.
(183) سورة الأنعام/ الآية 153.
(184) سورة الأنعام/ الآية 153.
(185) القاسمي/ محاسن التأويل/ 539-540.
(186) سورة الأنعام/ الآية 153.
(187) المصدر السابق/ شلتوت/ إلى القرآن الكريم/ 56.

نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)

حيث اشتملت على أدلة التوحيد (العدل والنبوة والمعاد والبعث والرسالة وعرضت السورة كيفية أبطال مذاهب المبطلين والملحدين لتجعل من علم الأصول أهمية في الحفاظ والصون عن حياض العقيدة.

ومما يعضد ذلك ما أخرجه الطبراني عن ابن عباس (**y**) قال نزلت سورة الأنعام بمكة ليلاً جملة واحدة حولها سبعون ألف ملك يجارون بالتسبيح والتحميد) حيث مكة في أول الدعوة موطن النزاع مع الدعوة التي جاء بها النبي (**r**).

هذه الآيات الثلاث (151-152-153) من سورة الأنعام ركزت للدعوة في أمهات الفضائل وأسس الخير للفرد والجماعة، كما يمكن تلخيصها بما يلي:

1. **في جانب العقائد**: في قوله تعالى (أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) فله وحده العبادة، وبه وحده الاستعانة، ومنه وحده الخوف والرجاء، وله وحده التحليل والتحريم.
2. **في جانب العمل**:

أ. في قوله تعالى: (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) فمنهما نشأ الإنسان وفي احضانهما تربى والإحسان اعتراف بالنعمة وتقدير الجميل.

ب. وفي قوله تعالى (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ) أي من أجل فقر فالولد ثمرة الحياة، وخلقه في سلسلة الحياة الإنسانية فنهاهم الله عن ذلك وحرمه عليهم وقال تعالى (نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاهُمْ) أي أن الرزق على الخالق سبحانه وتعالى.

ج. وفي قوله تعالى (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ) فالاعتداء عليها هدم لعمارة بناها الله، والاعتداء على خلافة ما أراد الله هدر للنفس البشرية أن اعتدت على أخت لها بريئة فقتلها أو على نظام الله العام فحاربته وأفسدته أو على جماعة المسلمين فناصبتها العداء واليوم العالم ينظر ماذا تفعل الولايات المتحدة الامريكية في بلدنا المحتل وخاصةً في مناطق المقاومة مثل الفلوجة والرمادي وديالى دون أن يحرك أي ساكن وخاصة من أمة العرب والإسلام التي أصاب حكامها الوهم. ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يخلصنا من الاحتلال الأمريكي الصهيوني الأمريكي البغيض بتلاحمنا ووحدة صفنا ورجوعنا إلى الله والله ناصر المؤمنين.

3. **في المبادئ الاجتماعية**:

أ. **صون الأعراض**: في قوله (وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ) أي النهي عن جميع أنواع الفواحش وهي المعاصي ما عقد عليه القلب من المخالفة وظهر حالتان تستوفيان أقسام ما جعلت له الأشياء.

ب. **حفظ أموال اليتامى**: في قوله تعالى (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حتى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ) أي لا تأكلوا من أموال اليتيم لأنه أمانة وحفظ عنكم وممكن اصلاحه وتثميره له

وتقديمه له عندما يبلغ الرشد والصرف عليه من استثمار ماله أي من الفروع وليس من أصل المال لأنه أمانة ويجب أن تكون الأمانة في الحفظ.

ج. **القسط في المكاييل والموازيين**: في قوله تعالى (وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) أي في البدل في الأخذ والإعطاء وعند البيع والشراء، والآيات كثيرة في هذا المجال وخاصة في سورة المطففين.

4. **في المبادئ الروحية**:

أ. **العدل في القول**: في قوله تعالى (إِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى) أي في خبر أو شهادة أو جرح أو تعديل فأعدلوا فيه وتحروا الصواب ولا تتعصبوا في ذلك القريب ولا على البعيد، ولا تميلوا إلى صديق ولا على عدو، بل سووا بين الناس.

ب. **الوفاء بالعهد**: وفي قوله تعالى: چ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا چ أي وبوصية الله التي أوصاكم بها فأوفوا، وإيفاء ذلك هو طاعة الأوامر والنواهي والالتزام بالكتاب والسنة هو الوفاء بعهد الله. العدل الوفاء بالعهد ضروريان في الحياة، فلا عمران مع الظلم، ولا نظام مع المحسوبية، ولا ثقة مع نقص العهود، وإهمال شرع الله نقض لعهد الأيمان والأخلال بالالتزامات نقض لعهد الإنسان، وتبديل حكم الله نقض لعهد الله ولا حياة لأمة عرفت بنقض العهود.

ج. **سبيل الله المستقيم**: في قوله تعالى: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) أي: بمعنى جمع الكلمة وارتباط القلوب حول التركيز بشرع الله والاعتصام بحبل الله، هو السبيل للخير والفلاح وليس التفرق لأنه يؤدي إلى التهلكة وقوله تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) تلك وصايا الله بعث بها كل رسول وأنزل بها كل كتاب فهي شرعه الدائم، وصراطه المستقيم جاء به كتاب موسى وجاء بها القرآن الكريم ليؤكد اللاحق السابق على أمة العرب والمسلمين.

المصادر

القرآن الكريم
1. أحمد/ أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني المتوفي سنة 241/ مسند أحمد / ج5.
2. البخاري/ محمد إسماعيل بن إبراهيم المغيرة المتوفي سنة 256/ صحيح البخاري/ ج3.
3. البهيقي/ الأمام الحافظ العلامة شيخ خرسان أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسر وجردي البهيقي المتوفي سنة 458/ المعجم الصغير.
4. البهيقي/ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسر وجردي البهيقي/ سنن البهيقي الكبرى/ ج3.
5. الترمذي/ محمد بن عيسى بن سوره بن موسى بن الضحاك السلمي الترمذي المتوفي سنة 279/ سنن الترمذي/ ج4.
6. التكريتي/ د. ناجي التكريتي/ الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية عند مفكري الإسلام الطبعة الأولى/ دار الأندلس/ 1979.
7. الجوزي/ الأمام أبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد بالجوزي القريشي البغدادي المتوفي سنة 597/ زاد المسير في علم التفسيير ج3/ط1/ المكتب الإسلامي للطباعة دمشق 1385 – 1965.
8. الجاحظ/ البيان والتبين/ الكتاب الثاني/ تحقيق عبدالسلام محمد هارون مكتبة الجاحظ القاهرة/ ط 50/ 1985.
9. الجلالين/ جلال الدين محمد بن أحمد/ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي/ ط1/ بيروت.

10. ابن حبان/ الأمام العلامة المجود شيخ خراسان أبو حاتم بن حبان بن أحمد بن حبان المتوفي سنة 358/ صحيح بن حبان.
11. الحاكم/ محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدويه بن نعيم أبو عبدالله الحاكم المتوفي سنة 405/ المستدرك عن الصحيحين/ ج2.
12. أبي حيان/ محمد بن يوسف الشهير بابي حيان الأندلسي الغرناطي المتوفي سنة 754، تفسير البحر المحيط/ ج4/ ط2/ دار الفكر 1398 – 1978.
13. الدارمي/ الحافظ الحجة الأمام الكبير شيخ الإسلام أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي المتوفي سنة 225/ سنن الدارمي/ تخريجه وتصحيحه وتحقيقه محب السنة النبوية وخادمها السيد عبدالله هاشم يماني المدني/ المدينة المنورة، 1386 – 1966.
14. أبي داود/ الأمام الحافظ المصنف المتقن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي المتوفي سنة 225/ سنن أبي داود، دار الحديث/ القاهرة.
15. الذهبي/ الأمام الحافظ المحدث شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن تايماز الذهبي المتوفي سنة 748هـ/ الكبائر/ الدار العربية/ بغداد.
16. ذو الرمه/ غيلان بن عقبه العدوي/ ديوان ذو الرمه/ عني بتصحيحه وتنقيحه كارل هنري هيس وكارفتي/ طبع على نفقة الكلية كمبردج/ 1919.
17. الرازي/ الأمام محمد الرازي فخر الدين بن العلامة ضياء الدين عمر المتوفي سنة 604هـ/ تفسير الفخر للرازي/ دار الفكر بيروت.
18. الرازي/ الشيخ محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي/ مختار الصحاح عني بتربية السيد محمد فاطر/ دار التراث العربي.
19. الزمخشري/ جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري/ أساس البلاغة/ ط2/ دار الكتب/ 1973.
20. الزبيدي/ محمد مرتضى الزبيدي/ تاج العروس/ مكتبة الحياة/ بيروت.
21. الشوكاني/ الأمام الشوكاني/ تفسير الأمام الشوكاني المسمى فتح القدير الجامع بين الدراية والرواية في علم التفسير/ زبدة التفسير في فتح القدير/ تحقيق محمد سليمان عبدالله/ ط2/ 1988.
22. شلتوت/ محمود محمود شلتوت/ إلى القرآن الكريم/ دار الهلال.
23. الطبري/ أبي جعفر بن جرير الطبري المتوفي سنة 310/ جامع البيان تأويل أي القرآن/ دار الكتب بيروت/ 1408 – 1988.
24. أبي عاصم/ بن ابن عاصم الحافظ الكبير أبو بكر أحمد بن عمرو بن النبيل أبي عاصم الشيباني/ كتاب الزهد/ ج1.
25. عبدالعزيز/ عبدالعزيز سعيد هاشم/ دليل الآيات القرآنية/ مطبعة عشتار/ بغداد/ 1983.
26. القرطبي/ الأمام أبو عبدالله بن أحمد الأنصاري القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن/ ط1/ بيروت/ 1988.
27. القاسمي/ الأمام العلامة محمد جمال الدين القاسمي المتوفي سنة 1332هـ/ تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل/ ضبطه وصححه وخرج آياته وأحاديثه محمد باسل عيون السود/ بيروت/ 1988.
28. ابن كثير/ الأمام الجليل الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي المتوفي/ سنة 774هـ/ مختصر تفسير بن كثير/ تحقيق محمد علي الصابوني/ ط1/ بيروت/ 1988.
29. مسلم/ مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري المتوفي سنة 216/ صحيح مسلم/ ج1.
30. ابن منظور/ جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المتوفي بن منظور المتوفي سنة 711/ لسان العرب.
31. النسائي/ أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار أبو عبدالرحمن النسائي المتوفي سنة 303/ السنن الصغرى/ ج1.
32. النحاس/ أبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس/ إعراب القرآن الكريم الكتاب السادس والعشرين/ مطبعة العاني/ بغداد.